

## على أنقاض البيت\*

الرجل، متكئاً على عكان، يقف فوق تل كبير من الأنقاض: خليط من الأسمنت محطم ومضغوط، وقضبان حديد ملتوية، ومزق فرشاة، وأسلاك كهرباء مكشوفة، وشظايا قرميد، وقطع من أنابيب مياه، ومفتاح كهربائي، هي كل ما تبقى. "هذا هو بيتي" - قال - "وفي الداخل ابني." إنه أبو رشيد. وابنه هو جمال، عمره 35 عاماً، مقعد في كرسي عجالات. بدأت الجرافة تقضم البيت، وأفراد العائلة لا يزالون داخله. وأين يكونون إن لم يكن في البيت، يبحثون كما كل أبناء مخيم جنين للاجئين عن الزاوية الأكثر أماناً التي يمكن الاحتماء بها من القذائف والصواريخ والرشاشات، في انتظار هدنة قصيرة؟ أسرع أبو رشيد وأفراد العائلة الآخرون في التوجه إلى باب الخروج، وعبروه رافعين أيديهم، وصرخوا في اتجاه الجرافة الضخمة، التي لم يكن سائقها يرى أو يسمع، بأن في البيت أشخاصاً. إلا إن الجرافة لم تتوقف عن الهدير؛ عن التراجع قليلاً ثم معاودة الهجوم؛ عن معاودة قضم الحائط الأسمنتي، إلى أن انهار الحائط على جمال قبل أن يتمكن أحدهم من إنقاذه.

كان حول أبو رشيد أشخاص آخرون اتخذوا أماكن لهم فوق تلال أخرى من الأنقاض، أو نزلوا عنها، وشقوا طريقهم بين أكوام باطون أخرى، ولوالب حديد حادة وشظايا معدنية، وجدر أسمنتية وسقوف سقطت، وشظايا مغاسل. لم يكونوا جميعاً منغلقيين كما أبو رشيد، الذي كان يتحدث إلى نفسه أكثر مما يتحدث إلى من يتوقف لسماعه. كان ثمة من طلبوا إنقاذ شيء ما بين الأنقاض: ثياب، حذاء، كيس أرز. وبالقرب من المكان، فتاة صغيرة تكاد تتعثر على كومة من الحجارة الأسمنتية المهشمة، تشير إلى السقف الذي تحت رجليها، وتبكي وتبكي. وبين نوبات النواح، استطاعت أن تقول إن هذا هو بيت والديها، وهي لا تعلم من المدفون تحته، ومن نجح في الفرار، وما إذا كان هناك أحياء تحت الأنقاض، ومن يخرجهم، وكيف يخرجونهم، ومتى.

■.[.....]

(\* عميره هاس، "حرب على البيت"، "هآرتس" (طبعة الإنترنت)، 2002/4/18. (مترجم عن العبرية)

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>